البحث الثاني عشر

دلالاتُ الفتنة في السياق القرآني

(دراسة لمصطلح قرآني)

إعداد الدكتورة

مشاعل أنور يوسف اللهو

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية الأساسية

الكويت

دلالات الفتنة في السياق القرآني
(دراسة لمصطلح قرآني)

مشاعل أنور يوسف اللهو

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت.

البريد الالكتروني:**ma.allahu@paaet.edu.kw**

الملخص:

في هذا البحث دراسة لمصطلح قرآني تكرر ذكره في آيات كثيرة، وهو مصطلح (الفتنة)، حيث يسعى البحث إلى تجلية المعنى اللغوي لهذا المصطلح، وبيان دلالاته في السياق القرآن الكريم بصيغه الصرفية المختلفة، مما يسهم في فهم أدق لمعاني الآيات الواردة فيها، واستبعاد المعاني المرجوحة، ومقارنة الصيغ المتشابهة في الآيات المختلفة. وذلك من خلال الاستقراء التام للآيات القرآنية التي ذكر فيها لفظ (الفتنة) ومشتقاتها، واستقراء ما كتبه العلماء والمفسرون حولها، وتحليل الآيات القرآنية، وما تضمنته من دلالات لغوية، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها للكشف عن معاني هذه الألفاظ في السياقات القرآنية المختلفة، واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من خلال الاستقراء التام للآيات القرآنية التي ذكر فيها لفظ (الفتنة) ومشتقاتها، واستقراء ما كتبه العلماء والمفسرون حولها، واعتمد – أيضا– على المنهج التحليلي: من خلال تحليل الآيات القرآنية، وما تضمنته من دلالات لغوية، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها للكشف عن معاني هذه الألفاظ في السياقات القرآنية المختلفة، وأخلص إلى النتائج التالية: أن أصل الفتنة مأخوذ من إحراق الذهب والفضة لتمييز الرديء من الجيد، وهو وضع يصاحبه مرج واضطراب، وأن لفظ (فتن) استعمل في الإدخال في النار، أي الإحراق، كما استعمل أيضاً في الابتلاء والاختبار، واستعمل أيضاً للدلالة على

اضطراب الحال، وتشتت الفكر، كما أن كثيراً ما يتلازم معنى الابتلاء ومعنى الاضطراب، وأحياناً يراد أحدهما، وقد تستخدم مادة (فتن) ومشتقاتها للدلالة على لوازم المعنى الأصلي أو مسبباته، وهذا من الاستعمال المجازي للفظ، ويطلق مصطلح (الفتنة) في القرآن ويراد به غالباً الابتلاء بشكل عام، ويختص أحياناً بالابتلاء بالخير، أو بالشر، واستعملت مادة (فتن) ومشتقاتها في القرآن الكريم بالمعاني التالية: الاختبار والابتلاء، والإحراق، أو التعذيب، واضطراب الحال وعدم الاستقرار، والضلال والإضلال، أو الفساد والإفساد من باب إطلاق السبب على المسبب، فهذه أربعة معان استعمل القرآن الكريم لفظ الفتنة للدلالة عليها، وهذا خلافاً لما قرره قاسم فاهم خضير في بحثه (دلالة ألفاظ الفتنة في القرآن الكريم) حيث أوصل معاني لفظ (الفتنة) في القرآن الكريم إلى عشرة معان، وأوصي بمزيد من الدراسة حول اللفظة القرآنية.

الكلمات المفتاحية: دلالات، الفتنة، السياق القرآني، مصطلح قرآني.

The connotations of sedition in the Qur'anic context A study of a Qur'anic term

Mashael Anwar Yousef Al-Lahu
Department of Islamic Studies, College of Basic Education, Public Authority for Applied Education and Training, Kuwait
E-mail: ma.allahu@paaet.edu.kw

Abstract;

In this research, there is a study of a Qur'anic term that is repeatedly mentioned in many verses, which is the term (sedition), as the research seeks to clarify the linguistic meaning of this term, and to explain its connotations in the context of the Holy Qur'an in its various morphological forms, which contributes to a more precise understanding of the meanings of the verses contained therein, and the exclusion of meanings swing, Comparing similar formulas in different verses. This is through full induction of the Qur'anic verses in which the word (sedition) and its derivatives are mentioned, extrapolation of what scholars and commentators have written about it, analysis of the Qur'anic verses, the linguistic connotations they contain, and what scholars and commentators have written about them to reveal the meanings of these words in different Qur'anic contexts. The research was based on On the inductive approach through complete extrapolation of the Qur'anic verses in which the word (sedition) and its derivatives are mentioned, He extrapolated what scholars and commentators had written about it, and relied - also - on the analytical approach: by analyzing the Qur'anic verses, the linguistic connotations they contained, and what scholars and commentators wrote about them to reveal the meanings of these words in different Qur'anic contexts, and I concluded with the following results: that the origin of strife It is taken from the burning of gold and silver to distinguish the bad from the good, which is a situation accompanied by turmoil and turmoil, and the

word (temptation) was used to include in Fire, i.e. burning, It was also used in affliction and testing, and it was also used to indicate turmoil in the situation and dispersion of thought. The meaning of affliction and the meaning of turmoil often go hand in hand, and sometimes one of them is intended. The article (temptation) and its derivatives may be used to indicate the necessities of the original meaning or its causes, and this is a metaphorical use. For the word, the term (temptation) is used in the Qur'an and it is often meant as affliction in general, and sometimes it is specific to affliction with good or evil, The word "temptation" and its derivatives were used in the Holy Qur'an in the following meanings: test, trial, burning, or torture, disorder and instability, misguidance and misguidance, or corruption and corruption in terms of giving the cause to the cause. These are four meanings that the Holy Qur'an used the word "temptation" to refer to. This is contrary to what Qasim Fahim Khudair stated in his research (The significance of the words of sedition in the Holy Qur'an), where he conveyed the meanings of the word (Sedition) in the Holy Qur'an has ten meanings, I recommend further study on the Qur'anic word.

Keywords: Connotations, Strife, Quranic context, Quranic term.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

ففي هذا البحث دراسة لمصطلح قرآني تكرر ذكره في آيات كثيرة، وهو مصطلح (الفتنة)، حيث يسعى البحث إلى تجلية المعنى اللغوي لهذا المصطلح، وبيان دلالاته في السياق القرآن الكريم بصيغه الصرفية المختلفة.

مشكلة الدراسة:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما معاني مادة (فتن) في اللغة.

٢- ما المعاني التي استعملت فيها مادة (فتن) في السياق القرآني بصيغها المختلفة.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها لأنها تسعى إلى حصر معاني مصطلح (الفتنة) ومشتقاتها في السياق القرآني، مما يسهم في فهم أدق لمعاني الآيات الواردة فيها، واستبعاد المعاني المرجوحة، ومقارنة الصيغ المتشابهة في الآيات المختلفة.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي وجدت أن أغلب من تناول هذا الموضوع بالبحث درسه دراسة موضوعية مختلفة عن أهداف هذه الدراسة، وقد وقفت على بحثين في ذلك:

١- **الفتنة في التصور القرآني**، للباحث مفلح الشهراني، وهي رسالة ماجستير من جامعة مؤتة عام ٢٠١٤م، تناول فيها الباحث أسباب الفتنة وأنواعها وكيفية علاجها والوقاية منها.

٢- **الفتنة في القرآن الكريم- دراسة موضوعية.** للباحثة فوزية مداني، وهي رسالة ماجستير من كلية العلوم الإسلامية في الخروبة عام ٢٠١٣م، تناولت فيها الباحثة أسباب الفتنة وأنواعها وفتنة الأنبياء والسلف، ومظاهر الفتنة في الأمة الإسلامية وكيفية التصدي لها.

٣- وأقرب ما وقفت عليه إلى موضوع هذه الدراسة بحث بعنوان: **دلالة ألفاظ الفتنة في القرآن الكريم.** للدكتور قاسم فاهم خضير، نشرت في مجلة الأستاذ، العدد٢٦، المجلد ١، عام ٢٠١٣م، وقد عد الباحث لفظ الفتنة من المشترك اللفظي، وأوصل معانيه إلى عشرة معان، وهو ما يخالف ما توصل إليه هذا البحث كما سيتبين، كما أن الباحث لم يعتمد على الاستقراء التام للآيات التي ورد فيها لفظ الفتنة، لذلك صرح بأن هذا الموضوع يستحق أكثر من دراسة.

منهجية الدراسة:

اعتمد البحث على المنهجين البحثيين الآتيين:

١- **المنهج الاستقرائي:** من خلال الاستقراء التام للآيات القرآنية التي ذكر فيها لفظ (الفتنة) ومشتقاتها، واستقراء ما كتبه العلماء والمفسرون حولها.

٢- **المنهج التحليلي:** من خلال تحليل الآيات القرآنية، وما تضمنته من دلالات لغوية، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها للكشف عن معاني هذه الألفاظ في السياقات القرآنية المختلفة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وهي التي بين أيديكم، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى (فتن) في اللغة.

المبحث الثاني: دلالات الصيغ الفعلية لمادة (فتن) في السياق القرآني.

المبحث الثالث: دلالات الصيغ الاسمية لمادة (فتن) في السياق القرآني.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول

معنى (فتــن) في اللغة

المطلب الأول: معنى (فتن) عند ابن فارس

ذكر ابن فارس[١] معنيين لمادة (فتن)، وهما: الابتلاء، والإحراق، حيث قال:

"الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار، من ذلك الفِتْنة، يقال: فتَنْتُ أفْتِنُ فَتْنًا. وفَتَنْتُ الذّهبَ بالنّار، إذا امتحنتَه، وهو مفتونٌ وفَتِين؛ والفَتَّان: الشَّيطان، ويقال: فتنه وأفْتَنَه، وأنكر الأصمعيُّ أفتنَ، وأنشدُوا في أفتَنَ:

لَئِنْ أفتنَتْني لَهْيَ بالأمسِ أفْتَنَت سعيدًا فأضْحَى قد قَلَى كلَّ مسلمِ

ويقال: قلبٌ فاتن، أي مفتون، قال:

رخِيمُ الكلامِ قَطِيع القِيامِ أضْحَى فؤادِي به فاتِنا

قال الخليل: الفَتْن: الإحراق، وشيء فتين: أي مُحْرَق، ويقال للحَرَّة: فَتين، كأنَّ حجارتَها مُحرَقة. ومما شذَّ عن هذا الأصل: الفِتَان: جِلدة الرَّحْل، وقولهم العيشِ فَتْنان، أي لونان؛ وهذه يجوز أن تُحمل على القياس، لأنّه يقول: والعيشِ فَتْنان فحلوٌ ومُرّ، ويمكن أن يُختَبَر ابنُ آدمَ بكلّ واحدٍ منهم"[٢].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين (٣٩٥ – ٣٢٩هـ) : من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط) ستة أجزاء، و(المجمل – خ) طبع منه جزء صغير، و (الصاحبيّ – ط) في علم العربية، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات. الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م ج١/ص١٩٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، كتاب الفاء، باب

المطلب الثاني: معنى (فتن) عند الراغب الأصفهاني

قال الراغب[1]: "أصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي: عذابكم، وذلك نحو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦]، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه، نحو قوله: ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ [التوبة: ٤٩]، وتارة في الاختبار نحو: ﴿ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه:٤٠]، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال فيهما: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

وقال في الشدة: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ [التوبة: ٤٩]، أي: يقول لا تبلني ولا تعذبني، وهم بقولهم ذلك وقعوا في البلية والعذاب. وقال: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ ﴾ [يونس: ٨٣]، أي: يبتليهم ويعذبهم، وقال: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن

الفاء والتاء وما يثلثهما، ج٤، ص٤٧٢-٤٧٣.

(١) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (٠٠٠ - ٥٠٢ هـ): أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد. من كتبه (محاضرات الأدباء - ط) مجلدان، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة - ط) و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و(المفردات في غريب القرآن - ط). الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٥٥.

يَفْتِنُوكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي: يوقعونك في بلية وشدة في صرفهم إياك عما أوحي إليك، وقوله: ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد: ١٤]، أي: أوقعتموها في بلية وعذاب، وعلى هذا قوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فقد سماهم ههنا فتنة اعتباراً بما ينال الإنسان من الاختبار بهم... وقوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٢]، أي: لا يختبرون فيميز خبيثهم من طيبهم، كما قال: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧]، وقوله: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦ ﴾ [التوبة: ١٢٦]، فإشارة إلى ما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ... الآية ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وعلى هذا قوله: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [المائدة: ٧١].

والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد كالبلية والمصيبة، والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان نحو قوله: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البروج: ١٠]" (١).

ويمكن أن نستخلص من كلام الراغب ما يلي:

١- أن (الفتن) أصله الإدخال في النار، واستعمل في إدخال الإنسان النار، أي الإحراق.

٢- أن كلمة (فتن) تستعمل في معنيين:

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص١٠٨٨.

أ- ما يحصل عنه العذاب.

ب- أو بمعنى الاختبار، والبلاء، وتكون في الشدة والرخاء، لكنها في الشدة أكثر استعمالاً.

٣- أن الفتنة تكون من الله تعالى، ومن العبد، فإذا كانت من الله تعالى فهي على وجه الحكمة، وإذا كانت من العبد بغير أمر الله تعالى كانت ضد ذلك.

المطلب الثالث: معنى (فتن) عند ابن منظور[1]

أضاف ابن منظور معان كثيرة لكلمة (فتن) بالإضافة إلى معنى (الإحراق، والابتلاء)، **وخلاصة المعاني التي ذكرها ابن منظور هي:**

١- الإحراق.

٢- الاختبار.

٣- المحنة.

٤- المال، والأولاد.

٥- الكفر.

٦- اختلاف الناس بالرأي، وما يقع بين الناس من القتال.

٧- الظلم.

٨- الغلو في طلب الفتنة.

٩- الإعجاب بالنفس.

١٠- فتنة المرأة للرجل.

١١- الفجور.

---

(١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١هـ): الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. أشهر كتبه (لسان العرب – ط) عشرون مجلدا. ومن كتبه (مختار الأغاني – ط) ١٢ جزءا، و(مختصر مفردات ابن البيطار – خ). الأعلام للزركلي: ٧/ ١٠٨.

١٢- الضلال والإثم.

١٣- الإخلاص.

١٤- الإزالة والإمالة عن القصد.

١٥- الإضلال.

١٦- الجنون.

١٧- الفضيحة.

١٨- العذاب.

١٩- القتل[١].

ويلاحظ أن ابن منظور أدرج المعاني التي ذكرها المفسرون لألفاظ (الفتنة) في الآيات القرآنية التي وردت فيها، وكثير من هذه المعاني غير مجمع عليها، فقد اختلف المفسرون في دلالة الفتنة في بعض المواضع، كما أن بعض المفسرين قد يفسر الفتنة بمسبباتها، أو آثارها، أو أمثلتها لذا لا تعد هذه المعاني -من وجهة نظري- من المعاني اللغوية لهذا اللفظ.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣١٧.

المطلب الرابع: معنى (فتن) عند السمين الحلبي[1]

لم يزد السمين الحلبي عن المعاني التي ذكرها ابن منظور، وهي:

١- الإحراق.

٢- الابتلاء والاختبار.

٣- الشرك والحمل عليه.

٤- الصرف عن الشيء.

٥- النار، والعذاب من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب.

٦- الإضلال.

وبيّن السمين أن أكثر استعمال الفتنة في الشدة كالبلاء.

وذكر أن الفتنة تكون من الله تعالى بمعنى أنه يبتلي عباده ليشكروا أو يكفروا، وتكون من العباد يمتحنون بها أحوال بعضهم بعضاً[2].

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين (٠٠٠ - ٧٥٦ هـ): مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعيّ، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه (تفسير القرآن)، و(القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز - خ)، و(الدر المصون - خ) في إعراب القرآن، مجلدان ضخمان. الأعلام للزركلي: ٢٧٤/١.

(٢) ينظر السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢٣٧- ٢٤٠.

المطلب الخامس: معنى (فتن) عند أبي البقاء الكفوي [1]

ذكر أبو البقاء معانٍ كثيرة للفتنة، وسأقتصر على ذكر المعاني التي أضافها على من سبقه:

١- ذكر أن الفتنة هي ما يتبين بها حال الإنسان من الخير والشر.

٢- وذكر من معانيها القضاء، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

٣- والمرض، كما في قوله تعالى: ﴿يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

٤- العبرة، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ ﴾ [يونس: ٨٥].

٥- العفو، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٦- النفي من البلد، كما قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ [البقرة: ١٩١][2].

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (٠٠٠ - ١٠٩٤ م): صاحب (الكليّات - ط) كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية. الأعلام للزركلي: ٢/ ٣٨.

(٢) ينظر أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، ١٩٧٥م، ج٣، ص٣٤٧- ٣٤٨.

المطلب السادس: معنى (فتن) عند الزبيدي [1]

ذكر الزبيدي في تاج العروس معان كثيرة لمادة (فتن) أهمها ما يلي:

١- الفتن الإحراق بالنار.

٢- الفتنة: الخبرة والاختبار.

٣- الإعجاب بالشيء.

٤- الإثم والمعصية والضلال.

٥- الكفر.

٦- الفضيحة.

٧- العذاب.

٨- الإضلال.

٩- المحنة.

١٠- المال والأولاد.

١١- اختلاف الناس في الآراء.

١٢- الإيقاع في البلية والشدة.

١٣- الإمالة عن القصد.

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (١١٤٥ – ١٢٠٥هـ) : علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله. من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس – ط) عشرة مجلدات، و (إتحاف السادة المتقين – ط) في شرح إحياء العلوم للغزالي، عشرة مجلدات، طبعة مصر، و (أسانيد الكتب الستة – خ). الأعلام للزركلي: ٧/ ٧٠.

١٤- الفاتن: الشيطان. والفتّان: الصائغ، لإذابته الذهب والفضة. والفتانان: الدرهم والدينار، لأنهما يفتنان الناس(١).

ويلاحظ أن الزبيدي، والسمين الحلبي، وأبا البقاء الكفوي قد ساروا على نهج ابن منظور، فذكروا المعاني التي ذكرها المفسرون للفتنة، وذكروا للفتنة معان تعد من مسببات الفتنة أو آثارها.

(١) الزبيدي، تاج العروس، باب النون، فصل الفاء مع النون.

المطلب السابع: معنى (فتن) عند ابن عاشور[١]

قدَّم ابن عاشور في تفسيره مفهوماً جديداً للفظ الفتنة مخالفاً به من سبقه من علماء اللغة، وذلك عندما فسر أول آية ورد فيها لفظ الفتنة في القرآن الكريم، لذلك آثرت أن أورد رأيه في هذا المبحث.

قال ابن عاشور: "الفتنة لفظ يجمع معنى مرج واضطراب أحوال أحد، وتشتت باله بالخوف والخطر على الأنفس والأموال على غير عدل ولا نظام، وقد تخصص وتعمم بحسب ما تضاف إليه أو بحسب المقام يقال فتنة المال وفتنة الدين.

ولما كانت هذه الحالة يختلف ثبات الناس فيها بحسب اختلاف رجاحة عقولهم وصبرهم ومقدرتهم على حسن المخارج منها كان من لوازمها الابتلاء والاختبار فكان ذلك من المعاني التي يكنى بالفتنة عنها كثيراً، ولذلك تسامح بعض علماء اللغة ففسر الفتنة بالابتلاء، وجرأه على ذلك قول الناس: فتنت الذهب أو الفضة، إذا أذابهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد، وهذا الإطلاق إن لم يكن مولداً، فإن معنى الاختبار غير منظور إليه في لفظ الفتنة وإنما المنظور إليه ما في الإذابة من الاضطراب والمرج"[٢].

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ – ١٣٩٣هـ): رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن. الأعلام للزركلي: ١٧٤/٦.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج١، ص٦٤٣– ٦٤٤.

المطلب الثامن: خلاصة معنى (فتن) في اللغة

الراجح – من وجهة نظري– في معنى كلمة (فتن) هو الجمع بين ما ذكره علماء اللغة وقول ابن عاشور، فالفتنة قد تطلق ويراد بها الدلالة على الاضطراب والمرج، وقد تطلق ويراد بها الابتلاء والاختبار، وكثيراً ما يراد بها المعنيان معاً، والذي يؤيد هذا أن من المعاني التي ذكرها علماء اللغة ما لا يتوافق مع معنى الاختبار، كقولهم: (فتنت المرأة الرجل)، فإن معنى الاختبار غير وارد هنا، ولعل المعنى المقصود هو أنها أوقعته في اضطراب، وتشتت فكر. وكذلك قولهم: (فتنته الدنيا) بمعنى شغلته حتى غدا حاله مضطرباً. وبناءً على ذلك يمكن تلخيص معنى كلمة (فتن) في اللغة بما يلي:

أولا: أصل الفتنة مأخوذ من إحراق الذهب والفضة لتمييز الرديء من الجيد، وهو وضع يصاحبه مرج واضطراب.

ثانيا: واستعمل في الإدخال في النار، أي الإحراق.

ثالثا: واستعمل أيضاً في الابتلاء والاختبار، ويكون في الخير والشر.

رابعا: واستعمل أيضاً للدلالة على اضطراب الحال، وتشتت الفكر.

خامسا: كثيراً ما يتلازم معنى الابتلاء ومعنى الاضطراب، وأحياناً يراد أحدهما.

سادسا: قد تستخدم مادة (فتن) ومشتقاتها للدلالة على لوازم المعنى الأصلي أو مسبباته، وهذا من الاستعمال المجازي للفظ.

المطلب التاسع: الصيغ الصرفية لمادة (فتن) في القرآن الكريم

وردت مادة (فتن) في القرآن الكريم بالصيغ الآتية:

١- (فتنّا) فعل ماض لجمع المتكلم ورد خمس مرات.

٢- (فتنّاك) فعل ماض لجمع المتكلم مضاف لضمير المفرد المخاطب ورد مرة واحدة.

٣- (فتنّاه) فعل ماض لجمع المتكلم مضاف لضمير المفرد الغائب ورد مرة واحدة.

٤- (فَتَنتم) فعل ماض لجمع المذكر المخاطب ورد مرة واحدة.

٥- (فَتَنوا) فعل ماض لجمع المذكر الغائب ورد مرة واحدة.

٦- (تفتني) فعل مضارع بتاء المخاطب المفرد ورد مرة واحدة.

٧- (نفتنهم) فعل مضارع بنون المتكلم ورد مرتين.

٨- (يفتنكم) فعل مضارع للمفرد الغائب مضاف لضمير الجمع المخاطب ورد مرة واحدة.

٩- (يفتنهم) فعل مضارع للمفرد الغائب مضاف لضمير الجمع الغائب ورد مرة واحدة.

١٠- (يفتنوك) فعل مضارع بياء الغائب مع ثبوت النون ورد مرة واحدة.

١١- (يفتنونك) فعل مضارع بياء الغائب ورد مرة واحدة.

١٢- (يفتننكم) الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد، ورد مرة واحدة.

١٣- (فُتِنتم) فعل ماض لجمع المخاطب مبني للمجهول ورد مرة واحدة.

١٤- (فُتِنوا) فعل ماض لجمع الغائب مبني للمجهول ورد مرة واحدة.

١٥- (تُفتنون) فعل مضارع بتاء المخاطب مبني للمجهول ورد مرة واحدة.

١٦- (يُفتنون) فعل مضارع بياء الغائب مبني للمجهول ورد ثلاث مرات.

١٧- (فتون) وردت منصوبة مرة واحدة، قيل إنها مصدر، وقيل إنها جمع.

١٨- (فاتنين) اسم الفاعل لجمع المذكر ورد مرة واحدة منصوباً.

١٩- (المفتون) اسم مفعول للمفرد المذكر ورد مرة واحدة. وقيل إنها بمعنى (الفتون) وليست اسم مفعول.

٢٠- (الفتنة)، و(فتنة) وردت ثلاثين مرة.

٢١- (فتنتك) مضافة لضمير مفرد المذكر المخاطب وردت مرة واحدة.

٢٢- (فتنتكم) مضافة لضمير جمع المذكر المخاطب وردت مرة واحدة.

٢٣- (فتنته) مضافة لضمير مفرد المذكر الغائب وردت مرة واحدة.

٢٤- (فتنتهم) مضافة لضمير جمع المذكر الغائب وردت مرة واحدة.

الخلاصة:

- عدد مرات ورود المادة في القرآن: (٦٠) مرة، في (٥٧) آية.
- عدد مرات ورود الصيغ الفعلية: (٢٣) مرة.
- عدد مرات ورود الصيغ الاسمية: (٣٧) مرة.

أي أن عدد مرات ورود الصيغ الاسمية أكثر من عدد مرات ورود الصيغ الفعلية.

- وردت مادة (فتن) في السور المكية (٣٧) مرة في (٢٢) سورة.
- ووردت هذه المادة في السور المدنية (٢٣) مرة في (١٠) سور.
- أكثر السور المكية التي وردت فيها مادة (فتن) هي سورة طه، حيث وردت فيها خمس مرات، ثم سورة العنكبوت حيث وردت فيها ثلاث مرات.
- أكثر السور المدنية التي وردت فيها مادة (فتن) هي سورة التوبة، حيث وردت فيها خمس مرات، ثم سورة البقرة وسورة الأنفال حيث وردت أربع مرات في كل منهما، ثم سورة المائدة حيث وردت فيها ثلاث مرات.

المبحث الثاني

دلالات الصيغ الفعلية لمادة (فتن) في السياق القرآني

المطلب الأول: الفعل الماضي (فتن)

ورد الفعل الماضي من (فتن) في القرآن إحدى عشرة مرة، بصيغ مختلفة وهي:

١- (فتنّا) الفعل الماضي المسند لضمير جمع المتكلم، وقد ورد خمس مرات.

٢- (فتنّاك) الفعل الماضي المسند لضمير جمع المتكلم، والمضاف لضمير المفرد المخاطب، وقد ورد مرة واحدة.

٣- (فتنّاه) الفعل الماضي المسند لضمير جمع المتكلم، والمضاف لضمير المفرد الغائب، ورد مرة واحدة.

٤- (فَتَنتم) الفعل الماضي المسند لضمير جمع المذكر المخاطب ورد مرة واحدة.

٥- (فَتَنوا) الفعل الماضي المسند لضمير جمع المذكر الغائب ورد مرة واحدة.

٦- (فُتِنتم) فعل ماض لجمع المخاطب مبني للمفعول ورد مرة واحدة.

٧- (فُتِنوا) فعل ماض لجمع الغائب مبني للمفعول ورد مرة واحدة.

وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه الصيغ، والسياق الذي وردت فيه.

أولا: الفعل (فتنا)

١- أوَّل موضع ورد فيه هذا الفعل في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣ ﴾ [الأنعام: ٥٢ – ٥٣]

روي في سبب نزول هذه الآية أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لو طردت هؤلاء لغشيناك وحضرنا مجلسك [١].

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح فإن الآية ناطقة بهذا المعنى. لذلك نهى الله ﷻ النبي ﷺ أن يطرد الفقراء والمستضعفين، وبيّن الله ﷻ أن اختلاف مراتب الناس إنما هو فتنة لهم، وهو سنة إلهية، كما ينبئ عن ذلك لفظ (كذلك) في الآية. ومعنى ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: عاملناهم معاملة المختبرين[٢] أي امتحنا بعضهم ببعض[٣] فكل واحد مبتلى بصاحبه [٤].

ويرى ابن عطية، أن ابتلاء المؤمنين بالمشركين هو ما يلقون منهم من الأذى، وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو أن يرى الرجل الشريف من المشركين قوماً لا شرف لهم قد عظمهم هذا الدين، وجعل لهم عند نبيهم قدراً ومنزلة [٥].

وقد خصص بعض العلماء الفتنة هنا بفتنة الأغنياء بالفقراء[٦].

والأولى في معنى الآية – من وجهة نظري– أن الفتنة واقعة بسبب اختلاف

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م. وطبعة دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج٧، ص١٢٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٦، ص٤٣٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٢٣٠، فتح القدير، محمد بن علي، فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص١١٩.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٣، ص٥.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٩٤.

(٦) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، دار النفائس، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢٢. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٢٥٣.

مراتب الناس، وليست مختصة بفتنة الأغنياء بالفقراء، التي كانت مانعاً لبعضهم من الإيمان. فالفقراء أيضاً قد يقع في نفوسهم تساؤل عن حكمة تخصيص الله ﷻ هؤلاء الكفار بالمال والنفوذ، فيكون ذلك سبباً في ضلال بعضهم، وكذلك قد يقع في نفوس بعض من آمن من الأغنياء والأشراف نفور من الفقراء والمستضعفين فيكون ذلك سبباً في تكبرهم عليهم. والحكمة من هذا الابتلاء هي تصفية وإخلاص نفوس أتباع هذا الدين حتى يتحقق الانقياد والتسليم الكامل لله ﷻ، ويتخلصوا مما قد يعلق في قلوبهم من كبر أو غرور أو حسد، وغيرها من الآفات القلبية المدمرة للأفراد والمجتمع. وفي هذا الأمر إعداد وتهيئة لأتباع هذا الدين ليكونوا أكفاء لحمله ونشره بين كل الناس.

٢- قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه: ٨٥]

وقد اختلف العلماء في معنى الفعل (فتنا) في هذه الآية على قولين:

أ- معناه الابتلاء والاختبار. وهو ما ذهب إليه الطبري والبيضاوي(١).

ب- معناه زينا لهم عبادة العجل. فيكون الفعل هنا بمعنى الإضلال، وهو ما ذهب إليه النسفي(٢)، والقول الأول هو الأولى، فهو المعنى الظاهر للفعل (فتن)، إما الإضلال فهو نتيجة لهذا الاختبار والابتلاء. ولا أقصد بذلك نفي أن يكون الضلال والهدى من الله ﷻ، فقد أثبتت آيات كثيرة أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لكن ما أقصده أن الفعل (فتن) هنا لم يرد بمعنى الإضلال، ولكن بمعنى الاختبار.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣]

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٤٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٦٣.

(٢) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٣، ص٩٦.

ومعنى الفتنة هنا الاختبار والامتحان، وهي سنة إلهية يميز بها الله ﷻ بين الصادقين والكاذبين، قال الطبري: "والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قيله: آمنا بالله، من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوه"(١).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٤ – ٣٥]

والفتنة هنا كما فسرها المفسرون بمعنى الابتلاء والاختبار، إلا ما ذكره ابن عاشور أن الفتنة هنا هي اضطراب الحال الشديد الذي يظهر به مقدار صبر وثبات من يحل به(٢)، وأظن أن المعنيين متلازمان في هذه الآية.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الدخان: ١٧]

وقد كان للمفسرين عدة أقوال في معنى الفعل (فتنا) في هذه الآية:

أ- معناه الابتلاء بالأمر بالطاعة (٣).

ب- وقال بعضهم: معناه عذبناهم بالغرق(٤)، ولعل هذا القول مبني على تهديد المشركين بالعذاب، والوارد قبل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان: ١٥ – ١٦]

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص٨٢.

(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٥٩.

(٣) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص١٣٤.

(٤) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص١٣٤، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٥، ص١٥٨.

ج- وقيل: المعنى وسع عليهم الأرزاق فطغوا وبغوا [١].

ويؤيد هذا القول الآيات الواردة بعد ذلك والتي تشير إلى ما تركه آل فرعون من نعيم وخيرات بعد إغراقهم.

د- وفسَّرها ابن عاشور بأنها الإيقاع في اختلال الأحوال بناء على ما قرره في معنى الفتنة في سورة البقرة. وأرى أن معنى الابتلاء والإيقاع في اختلال الأحوال متلازمان في هذه الآية.

فمعنى (فتنا) هنا هو اختبرنا وابتلينا، سواء بالأمر بالطاعة، أو بما وسع عليهم من الأرزاق وما يصاحب ذلك من اختلال في الأحوال. أما القول بأن الفتنة هي الإغراق فهو قول بعيد، صحيح أن الإغراق كان من نتائج هذه الفتنة والابتلاء حيث لم يمتثلوا لأمر الله تعالى ولم يشكروا نعمه، لكن الفتنة لا تعني الإغراق.

ثانيا: الفعل (فتناك)

ولم يرد هذا الفعل إلا في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]

أقوال المفسرين في معنى الفعل (فتناك):

أ- ابتليناك ابتلاء، واختبرناك اختباراً حتى صلحت للرسالة [٢].

ب- أخلصناك إخلاصا [٣].

---

(١) ينظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٥٧٣. وينظر: الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر، دار الفكر، بيروت، ج٣، ص٥٠٢.

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٢٣. والنسفي، مدارك التنزيل، ج٣، ص٨٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٩٤.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٢٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٩٤.

ج- وفسره ابن عاشور بأنه اضطراب حال المرء في مدة من حياته، واستظهر أن معنى ﴿ فُنُونًا ﴾ مصدر من (فتن) بمعنى اختبر[1].

ومعنى الاختبار هنا هو الأظهر، وهذا الاختبار يصاحبه اضطراب الأحوال، أما القول الثاني فهو من لوازم الابتلاء والاختبار، فقد أخلصه الله ﷻ بهذه الفتن حتى صلح للرسالة.

ثالثا: الفعل (فتناه)

لم يرد هذا الفعل إلا في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص: ٢٤]

الفتنة هنا بمعنى الابتلاء والاختبار[2]، وقد أورد المفسرون في هذا السياق روايات -لا تليق بمكانة نبي الله داود عليه السلام- في تفسير الفتنة التي تعرض لها داود عليه السلام، لذلك لن أتطرق لهذه الروايات [3].

---

(١) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص٢٢٠.

(٢) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٥١. الشوكاني، فتح القدير، ج، ص.

(٣) قال ابن كثير: "قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه". ابن كثير، تفسير القرآن، ج٧، ص٥١. قلت: صحيح أنه لم يرد حديث صحيح في تفسير الفتنة، لكن يمكننا أن نستنبط بعض الوجوه في نوع الفتنة التي تعرض لها داود عليه السلام اعتماداً على ظاهر الآيات، وإن كنا لا نستطيع الجزم بأحدها. وفي البداية لا بد من التنبيه على ضرورة حمل الألفاظ الواردة في هذه القصة على ظاهرها، فالخصمان هما من البشر، ولا دليل على كونهما ملكين، وكذلك لفظ (النعجة) محمول على ظاهره، والقول بأنه كناية عن المرأة يحتاج إلى دليل ولم يوجد. أما الفتنة التي تعرض لها داود فيمكن أن نستنبط من خلال السياق بعض الوجوه وهي:

إن سبب الفتنة هو اعتزال داود عليه السلام الناس في محرابه، وكان الأولى أن يتفرغ للناس ويقضي حاجاتهم، فهذا الأمر لا يقل أهمية عن التعبد والصلاة والذكر. ينظر الخالدي، صلاح عبد

قال ابن كثير: « فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله ﷻ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً »(١).

وذكر ابن عاشور احتمالين في معنى الفتنة هنا حيث قال: "فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْفِتْنَةُ بِالْمَعْنَى الْمَشْهُورِ فِي تَدْبِيرِ الْحِيلَةِ لِقَتْلِ أُورِيَا، فَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْفِتْنَةِ لِأَنَّهَا أَوْرَثَتْ دَاوُدَ مُخَالَفَةً لِلْأَلْيَقِ بِهِ مِنْ صَرْفِ نَفْسِهِ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ، وَعَدَمِ مُتَابَعَتِهِ مَيْلَهُ النَّفْسَانِيَّ وَإِنْ كَانَ فِي دَائِرَةِ الْمُبَاحِ فِي دِينِهِمْ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَعَلِمَ أَنَّ مَا صَدَرَ مِنْهُ فِتْنَةٌ مِنَ النَّفْسِ. وَإِنَّمَا عَلِمَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ كَرَاهِيَةَ مِثْلِهَا مِمَّا صَوَّرَهُ لَهُ الْخَصْمَانِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفَتْنُ بِمَعْنَى الِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، أَيْ ظَنَّ أَنَّا اخْتَبَرْنَا زَكَانَتَهُ بِإِرْسَالِ الْمَلَكَيْنِ، يُصَوِّرُ أَنَّ لَهُ صُورَةً شَبِيهَةً بِفِعْلِهِ فَفَطِنَ أَنَّ مَا فَعَلَهُ أَمْرٌ غَيْرُ لائِقٍ بِهِ" (٢).

وهذا التفسير من ابن عاشور مبني على بعض ما جاء في الروايات الإسرائيلية، والأولى حمل معنى الفتنة هنا على الابتلاء والاختبار، وعدم ربطها بما ورد من

الفتاح، مواقف الأنبياء في القرآن، ص٣٠٤.

ويحتمل أن الاختبار كان لتنبيه داود عليه السلام على بعض إجراءات الحكم، فما ذكره أحد الخصمين من امتلاك أخيه لتسع وتسعين نعجة لا ينبغي أن يكون له تأثير على الحكم الصادر، لأن الخصم ما ذكره إلا لينال استعطاف داود عليه السلام، فكان هذا الاختبار تعليم لداود عليه السلام لأهمية العدل في القضاء، والحرص على أدق التفاصيل المتعلقة بذلك.

وقيل: إن داود عليه السلام قد حكم دون سماع الخصم الآخر، وهذا القول بعيد، وقد رده بعض المفسرين، لأنه لا يجوز أن يحكم القاضي دون أن يسمع أقوال الخصمين، ويعد هذا من أصول الحكم والفتوى ولا يعقل أن يخفى على داود عليه السلام. (ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص ٢٠٢).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٥١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٢٣٩- ٢٤٠.

روايات إسرائيلية لا يمكن الجزم بها.

رابعا: الفعل (فتنتم)

ورد هذا الفعل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد: ١٤].

هذه الآية واردة في سياق الحديث عن الآخرة، عندما يطلب المنافقون والمنافقات أن يقتبسوا من نور المؤمنين، فيضرب بينهم بسور له باب باطنه الرحمة وظاهره العذاب، فحينئذٍ يقول المنافقون للمؤمنين: ألم نكن معكم؟ فيأتي رد المؤمنين حاسماً ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فما معنى الفتنة هنا؟ وفاعل الفتنة هنا المنافقون، فكيف فتنوا أنفسهم؟ ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في معنى الفتنة في هذه الآية، وهي:

أ- روي عن مجاهد أن الفتنة هنا النفاق(١).

ب- وقال النسفي: « محنتموها بالنفاق وأهلكتموها»(٢)، وقال أبو حيان: « عرضتم أنفسكم للفتنة بنفاقكم» (٣). فهما يريان أن النفاق سبب الفتنة.

ج- وقيل: استعملتموها في الفتنة(٤).

د- وقيل: أصبتم أنفسكم حيث كفرتم في السر(٥).

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢٧، ص١٢٩. الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٣. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٣٦٣.البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٥، ص٢٩٨. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٨، ص٢٠٣.

(٢) النسفي، مدارك التنزيل، ٤، ص٣٣٢.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص٢٢١.

(٤) ذكره القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص١٥٩.

(٥) ينظر السمرقندي، بحر العلوم، ج٣، ص٤٠٠.

هـ – وفسر بعضهم الفتنة بالمعاصي. وفسرها آخرون بالشهوات واللذات[١]، وقال آخرون: الكفر والمعاصي[٢].

وهذه الأقوال لا تبين بشكل دقيق ارتباط المعنى السياقي للفعل (فتنتم) بالمعنى اللغوي، ولعل أدق ما قيل في معنى الآية ما ذكره ابن عاشور حيث قال مفسراً الفتنة: «عدم قرار ضمائرهم على الإسلام، فهم في ريبهم يترددون، فكأن الاضطراب وعدم الاستقرار خلق لهم، فإذا خطرت في أنفسهم خواطر خير من إيمان ومحبة للمؤمنين نقضوها بخواطر الكفر والبغضاء، وهذا من صنع أنفسهم، فإسناد الفتن إليهم إسناد حقيقي، وكذلك الحال في أعمالهم من صلاة وصدقة» [٣].

وبذلك يتبين أن (الفتنة) في هذه الآية مأخوذة من الاضطراب والمرج، وليس من الاختبار.

خامسا: الفعل (فتنوا)

لم يرد هذا الفعل إلا في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠]

والآية واردة في الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد في هذه الآية أصحاب الأخدود الذين سبق ذكرهم، وذهب آخرون إلى أن المراد بها كفار قريش، قال ابن عطية: «ويقوي هذا التأويل بعض التقوية قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ ﴾، لأن هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن، ج٨، ص٤٨.

(٢) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩، ص٤٦١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧، ص٣٨٥ – ٣٨٦.

الذين قد علم الله أنهم ماتوا على كفرهم» [١]، والآية من وجهة نظري عامة فيهم وفيمن فعل فعلهم. وللمفسرين عدة أقوال في معنى الفتنة هنا:

أ- قال بعضهم: المراد أحرقوهم بالنار، والعرب تقول: فتنت الشيء أي أحرقته[٢]، وبناءً على هذا القول فالآية خاصة بأصحاب الأخدود.

ب- وقال آخرون: المعنى ابتلوهم بالتعذيب[٣].

ج- وقال ابن عاشور: « وَالْفَتْنُ :الْمُعَامَلَةُ بِالشِّدَّةِ وَالْإِيقَاعُ فِي الْعَنَاءِ الَّذِي لَا يَجِدُ مِنْهُ مَخْلَصًا إِلَّا بِعَنَاءٍ أَوْ ضُرٍّ أَخَفَّ أَوْ حِيلَةٍ» [٤].

والأولى أن يقال إن الفتنة هنا بمعنى الاختبار والابتلاء، سواء بالتعذيب أو غيره، وإن كان الابتلاء بالتعذيب أكثر ظهوراً للقصة المذكورة في أول السورة، ولما كان يفعله كفار قريش من تعذيب للمسلمين، لكن ذلك لا يعني تخصيص معنى الفتنة في الآية به، ويصاحب هذا الاختبار الشدة واضطراب الأحوال وهو المعنى الذي ذكره ابن عاشور.

وفي هذه الآية بعض اللطائف، فيلاحظ أن الآية جمعت بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، وقد ظهر لي في ذلك وجهان، وهما:

* مناسبته لفعل بعض هؤلاء الكفار الذين استخدموا التعذيب بالنار، فكان جزاؤهم من جنس عملهم.

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٤٦٢.

(٢) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص٥٠٦. والزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٣٨. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص٤٥١. والشوكاني، فتح القدير، ج٥، ٤١١.

(٣) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٩، ص١٣٥. والآلوسي، روح المعاني، ج٢٩، ص٤٩. والشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٤١١.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٢٤٦.

* مناسبة لفظ الإحراق، لأصل معنى الفتنة، حيث إنه مأخوذ من إحراق الذهب والفضة.

ولم يرد لفظ عذاب الحريق في القرآن إلا في أربعة مواضع غير هذا الموضع، وقد وجدت أن جو الفتنة، والإحراق، واضح في جميع هذه المواضع، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٢]، فهؤلاء يثيرون الفتن ويطعنون بالذات الإلهية، ويقتلون الأنبياء، وهم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ [آل عمران: ١٨٣] فاشترطوا لإيمانهم أن يأتيهم الرسول بقربان يحرق بالنار، فوعدهم الله ﷻ بعذاب الحريق.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠- ٥١]، هذه الآية واردة في سياق الحديث عن الكفار الذين قال عنهم الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فهم يحاولون فتنة النبي ﷺ وأتباعه بكل الطرق. وقد أمر الله تعالى بقتالهم للقضاء على فتنتهم فقال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ

بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحج: ٨-١٠]، وهذا الشخص يثير الفتن ويجادل بغير علم ليضل عن سبيل الله ﷻ.

٤- قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج ١٩-٢٢]، وجو الخصومة هو جو الفتنة والابتلاء.

وقد لاحظت أن آيتين من هذه الآيات تكرر فيهما قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾، وجاء في الآية الثالثة قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾، وهذا من المناسبات بين هذه الآيات، وفي هذا تأكيد على أن عذاب الحريق الشديد كان نتيجة لأفعالهم، وما ظلمهم الله، ولكنهم ظلموا أنفسهم.

سادسا: الفعل (فُتنتم)

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [طه: ٩٠].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى (فتنتم) هو الاختبار والابتلاء، لمعرفة صحيح الإيمان من مريض القلب(١).

وذهب آخرون إلى أن معناه ابتليتم به وأضللتم به(٢).

والأولى القول الأول، لأن الإضلال هو من نتائج هذه الفتنة والابتلاء وليس هو الفتنة.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٤٤، طلعة دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

(٢) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٣٠٢.

أما التعبير بالفعل المبني للمفعول فالغرض منه التركيز على الحدث والموضوع، لأنه جاء في سياق تقديم النصح والإرشاد لبني إسرائيل من قبل هارون عليه السلام. والفاعل هنا هو الله ﷻ، كما جاء التصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه: ٨٥].

سابعا: الفعل (فُتنوا)

ورد هذا الفعل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل: ١١٠]

فسر بعض المفسرين الفتنة هنا بالتعذيب على الارتداد، والمعنى مأخوذ من إدخال الذهب النار لتظهر جودته ثم تجوز به عن البلاء وتعذيب الإنسان(١)، وفسر ابن عاشور الفتنة العذاب والأذى الشديد الذي لا يقع به صبراً ولا رأياً(٢)، فالفتنة الاضطراب الشديد بسبب التعذيب.

(١) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٩٦. والآلوسي، روح المعاني، ج١٤، ص٢٣٩.

(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢٩٩.

المطلب الثاني: الفعل المضارع من (فتن)

ورد الفعل المضارع من (فتن) في اثني عشر موضعاً، وهي:

١- (تفتني) فعل مضارع بتاء المخاطب المفرد ورد مرة واحدة.

٣/٢- (نفتنهم) فعل مضارع بنون المتكلم ورد مرتين.

٤- (يفتنكم) فعل مضارع للمفرد الغائب مضاف لضمير الجمع المخاطب ورد مرة واحدة.

٥- (يفتنهم) فعل مضارع للمفرد الغائب مضاف لضمير الجمع الغائب ورد مرة واحدة.

٦- (يفتنوك) فعل مضارع بياء الغائب مع حذف النون ورد مرة واحدة.

٧- (يفتنونك) فعل مضارع بياء الغائب ورد مرة واحدة.

٨- (يفتننكم) الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد، ورد مرة واحدة.

٩- (تُفتنون) فعل مضارع بتاء المخاطب مبني للمفعول ورد مرة واحدة.

١٢/١١/١٠- (يُفتنون) فعل مضارع بياء الغائب مبني للمفعول ورد مرة ثلاث مرات.

وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه الصيغ، والسياق الذي وردت فيه:

أزلا: الفعل (تفتني)

ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾ [التوبة: ٤٩]

وهذه الآية تتحدث عن المنافقين الذين كانوا يبحثون عن الأعذار حتى لا يخرجوا مع الرسول ﷺ مجاهدين. وتصور لنا هذه الآية أحد أعذارهم الواهية، وهو خوفهم من الفتنة حسب زعمهم، وقد ذكر المفسرون وجوهاً لمعنى (الفتنة) في هذه الآية، وأهمها ما يأتي:

أ- لا تلقني في الهلاك، فإن الزمان زمان شدة الحر.

ب- وقيل: لا تفتني لأني إن خرجت معك هلك مالي وعيالي.

ج- وقيل: لا تخرجني، ذكره الشوكاني(١).

د- وقيل: لا تفتني ببنات الأصفر.

هـ - وقيل: لا توقعني بالإثم بأن لا تأذن لي، فإن قعدت بغير إذنك وقعت في الإثم(٢)، قال البيضاوي بعد أن ذكر هذا الوجه: « وفيه إشعار بأنه لا محالة متخلف، أذن له أم لم يأذن» (٣)، وقال ابن عاشور: « وهذا من أكبر الوقاحة، لأن الإذن في هذه الحالة كلا إذن» (٤).

الراجح في معنى الآية: الفعل (تفتني) في هذه الآية يرجع إلى معنى الاختبار والابتلاء، فيكون المعنى: لا توقعني في ابتلاء واختبار بخروجي معك أو بعدم إذنك لي، فقد أضل بسببه وآثم، وما ذكره المفسرون من أقوال في نوع الفتنة التي يدعي هؤلاء المنافقون الخوف منها كلها محتملة، كفتنة النساء، أو فتنة المال والأولاد، وغيرها. وعلى العموم فإن هذه الآية تصور شخصيات المنافقين وأساليبهم ليحذر المؤمنون منهم، فهم متلونون وقد يظهرون بمظهر التقى والصلاح ليخدعوا الناس، وما يخدعون إلا أنفسهم.

ثانيا: الفعل (لنفتنهم)

ورد هذا الفعل في موضعين، وهما:

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٣٦٨

(٢) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٦، ص٦٦.

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣، ص١٤٥.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٢٠.

١- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١].

نهى الله ﷻ نبيه ﷺ أن يمد عينيه إلى ما متع به هؤلاء من ملذات الدنيا وزخرفها، وبيّن الله ﷻ أن الغرض والحكمة من وراء ذلك فتنتهم، فما معنى الفتنة في هذه الآية؟

أ - ذهب بعض المفسرين إلى أن الفتنة هنا بمعنى الاختبار والابتلاء(١).

ب- وذهب آخرون إلى أن الفتنة هنا التعذيب بالآخرة(٢).

ج- وفسر ابن عاشور الفتنة هنا « بأنها اضْطِرَابُ النَّفْسِ وَتَبَلْبُلِ الْبَالِ مِنْ خَوْفٍ أَوْ تَوَقُّعٍ أَوِ الْتِوَاءِ الْأُمُورِ، وَكَانُوا لا يَخْلُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَلِشِرْكِهِمْ يَقْذِفُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْغَمَّ وَالتَّوَقُّعَ، وَفِتْنَتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ظَاهِرَةٌ» (٣).

والأولى تفسير الفتنة بالاختبار ويلازمها ما ذكره ابن عاشور من اضطراب النفس، أما التعذيب في الآخرة فهو نتيجة هذا الاختبار حيث إنهم لم يشكروا الله ﷻ على هذه النعم.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

وهذه الآية جاءت ضمن سياق الحديث عن الجن، وقد اختلف المفسرون في تحديد المتحدث عنهم في الآية:

أ- ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد الجن.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٦٩. وابن كثير، تفسير القرآن، ج٥، ص٢٨٦.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ٥٦٠. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٤، ص٧٦. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٢٩١. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٤٠. وقد ذكر جميعهم الوجهين.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص٣٤١.

ب- وقيل المراد الأنس.

ج- وقيل المراد الخلق كلهم[١].

د- وذهب ابن عطية إلى أن الضمير في الآية يعود إلى (من أسلم) الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الجن: ١٤].[٢]

هـ - وجوز ابن عاشور أن يكون المراد بالآية المشركين[٣].

والذي أرجحه عود الضمير على الجن لأن سياق الآيات في الحديث عنهم، وهذا لا يمنع من دخول الإنس في معنى الآية.

واختلف المفسرون أيضاً في معنى الاستقامة في الآية على قولين، وهما[٤]:

أي لو استقام القاسطون من الجن على الحق لأسقيناهم ماءً غدقاً، أي لوسعنا عليهم في الرزق لنختبرهم فيه.

وقال بعض المفسرين إن المعنى أن لو استقاموا على الضلالة، لأعطيناهم سعة الرزق لنستدرجهم بها. قال ابن كثير: « ويتأيد بقوله (لنفتنهم فيه) » [٥].

وليس في قوله: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ دلالة على أن المراد الاستقامة على الضلال، لأن الفتنة والابتلاء تكون للمؤمنين وللكافرين. والراجح فيما أرى القول الأول، ومما

(١) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١٧. والشوكاني، فتح القدير، ج١٤، ص٣٠٨.
(٢) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٣٨٢.
(٣) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٢٣٨.
(٤) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢٩، ص١٠٨. والزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٦٩. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٥، ص٣٩٩.
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن، ج٨، ص٢٥٤.

يرجح هذا القول أن لفظ (استقاموا) ومشتقاته (يستقيم، واستقم، واستقيما، واستقيموا) لم ترد في القرآن إلا عشر مرات، كلها في سياق الاستقامة على الحق[1]، ويرجحه أيضاً عطف قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾، فقد جعل الاستقامة مقابل الإعراض عن ذكر الله تعالى، فدل على أنها الاستقامة على الحق.

وقد وجدت في هذه الآية ما يرجح القول بأن معنى الفتنة فيها هو الاختبار والابتلاء، فقد جاء بعد قوله: (لنفتنهم فيه) قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾، وهذا يدل على أن الفتنة ليست بمعنى العذاب وإلا لما عطف عليها ذكر العذاب.

ثالثا: الفعل المضارع (يفتنكم)

ورد هذا الفعل في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ ﴾ [النساء: ١٠١].

وهذه الآية في أحكام صلاة الخوف، وقد ذكر المفسرون أنها نزلت في غالب أسفار النبي ﷺ، وأكثرها لم يخل من خوف العدو، فذكر الله ﷻ هذا الشرط من حيث إنه هو الأغلب في الوقوع في حالات السفر في ذلك الوقت، لكن قصر الصلاة ظل حكماً معمولاً فيه في السفر وإن لم يكن ثمة خوف[2].

وذكر المفسرون عدة أقوال في معنى الفتنة في هذه الآية:

أ- قيل المعنى: إن خفتم أن ينالكم بمكروه من قتال وغيره[3].

---

(١) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٦٨٥.

(٢) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص١٩٩.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٥٥٩. أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣٣٧. أبو

ب- وقيل: إن خفتم أن يفتنكم عن إتمام الركوع والسجود في جميعها[١].

ج- وقيل: إن خفتم أن يقتلكم[٢].

د- وقيل: إن خفتم أن يمتحنكم بالحمل عليكم وإشغال نفوسكم[٣]، وفي هذا القول محاولة للربط بالمعنى اللغوي.

هـ - وقيل: إن خفتم أن يغلبكم الذين كفروا في الصلاة[٤].

ولبيان معنى الفعل (يفتنكم) لا بد من مراعاة المعنى اللغوي، ومعنى الاختبار والابتلاء ليس هو الأولى في هذا السياق، والأولى أن يقال إن الفتنة هنا بمعنى الإيقاع في الاضطراب وتشتت الفكر، سواء بالقتل أو بغيره، مما يمنع من إتمام الصلاة وأركانها.

السعود، إرشاد العقل السليم، ج٢، ص٢٢٠.

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص١٩٩.

(٢) ينظر السمرقندي، بحر العلوم، ج١، ص٣٣١.

(٣) ينظر الثعالبي، تفسير الثعالبي، ج١، ص٣٨٠.

(٤) ينظر ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج٦، ص٦٠٦.

المطلب الثالث: الفعل المضارع (يفتنهم)

جاء هذا الفعل في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس: ٨٣].

فسر بعض المفسرين الفتنة هنا بالعذاب الذي يصدهم عن دينهم(١)، أما ابن عاشور ففسر الفتنة بأنها «إِدْخَالُ الرَّوْعِ وَالِاضْطِرَابِ عَلَى الْعَقْلِ بِسَبَبِ تَسْلِيطِ مَا لا تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ تَحَمُّلَهُ» (٢).

وقول ابن عاشور – فيما أظن– هو الأولى في معنى الفتنة في هذه الآية، وغرضهم من هذه الفتنة الصد عن الدين، وقد يكون بالتعذيب وهو الغالب، وقد يكون بالترغيب، من خلال تقديم الأموال والهبات كما كان الحال مع قارون.

أولا: الفعل المضارع (يفتننكم)

وهذا فعل مضارع للمفرد المذكر ومؤكد بنون التوكيد، وجاء في سياق النهي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وفي هذه الآية تحذير لبني آدم من فتنة الشيطان، وذكّرت الآية بالفتنة الأولى التي تعرض لها آدم عليه السلام وزوجته، فالعداوة بين الإنسان والشيطان عداوة قديمة منذ خلق آدم عليه السلام. أما الفتنة هنا فقد ذكر لها المفسرون عدة معانٍ، وهي:

---

(١) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٦٨. والآلوسي، روح المعاني، ج١١، ١٦٩.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٦٠.

أ- لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة[١].

ب- لا يضلنكم، فالفتنة الإضلال[٢].

ج- الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار[٣].

د- وفسر ابن عاشور فتون الشيطان بحصول آثار وسوسته[٤].

والأولى أن تفسر الفتنة هنا بمعنى الإضلال، من باب إطلاق السبب على المسبب، لأن فتنة الشيطان بمعنى الاختبار والامتحان حاصلة لا محالة، فالشيطان يختبر الناس بإلقاء الوساوس وتزيين الباطل وغرضه من ذلك إضلالهم، فالآية تنهى الناس وتحذرهم من وقوع نتيجة فتنة الشيطان وهي الضلال.

ولم يرد الفعل المؤكد بالنون إلا في هذا الموضع، وفي هذا إشارة إلى أهمية الحذر من فتنة الشيطان، لخطورتها. كما أن النهي في ظاهره موجه للشيطان، ولكن المراد في الحقيقة البشر، قال ابن عاشور: « أي لا تمكنوا الشيطان من أن يفتنكم، والمعنى النهي عن طاعته، وهذا من مبالغة النهي» [٥].

ثانيا: الفعل المضارع (يفتنوك) و(يفتنونك)

وجاء هذان الفعلان في الموضوع نفسه، وهو تحذير النبي ﷺ من محاولات فتنته، أحدها جاء في سورة مكية، والآخر في سورة مدنية، وهذا يدل على أن محاولات فتنة

(١) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٢٢، والرازي، مفاتيح الغيب، ج١٤، ص٢٥، والشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص١٩٦، والآلوسي، روح المعاني، ج٨، ص٦١.

(٢) النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص٧٣. والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص٣٩٠. والمحلي، والسيوطي، تفسير الجلالين، ص٢٠٢.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٨، ص١١٢.

(٤) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨، ص٧٧.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨، ص٧٧.

النبي ﷺ كانت مستمرة في مكة وفي المدينة، وإن كانت من أطراف مختلفة، والغرض منها محاربة الدين والقضاء عليه.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٤].

وتدل هذه الآيات على ثبات النبي ﷺ في مواجهة فتن كفار قريش، قال البيضاوي: « وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي» [(١)]، فالله ﷻ لم يقل: (ولولا أن ثبتناك لركنت إليهم) وإنما قال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾، وفرق بين التعبيرين، قال أبو السعود: « لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم، فضلاً عن نفس الركون» [(٢)].

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقد نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين احتكموا إلى النبي ﷺ، وأرادوا صده عن بعض ما أنزل الله إليه. ففي مكة كانت محاولات الفتنة من المشركين أما في المدينة فكانت من قبل اليهود.

وجاء الفعل في هذه الآيات متعديا بـ (عن)، وهذه أهم أقوال المفسرين في معناه:

أ- قال بعض المفسرين إن معنى (يفتنوك) هو يصدوك، أو يردوك، أو

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٣، ص٤٥٧.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٥، ص١٨٧.

يصرفوك، وهي معاني متقاربة[1]، فكأن هؤلاء المفسرين يميلون إلى تضمين الفعل معنى الصرف والصد حتى تصح التعدية بعن.

ب- وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى يستزلوك ويضلوك عنه[2]، وهذا القول أيضاً مبني على التضمين.

ج- وقال ابن عاشور: « يصرفوه بامتحانهم وابتلائهم عن شيء مما أنزل الله عليه» [3].

والراجح فيما أرى أن الفتنة هنا بمعنى الابتلاء والاختبار، فما فعله المشركون واليهود كان اختباراً للنبي ﷺ ليروا مدى تمسكه بدينه ودعوته، فإن أبدى تنازلاً ولياً – وحاشاه- كان ذلك دافعاً لهم لطلب مزيد من التنازلات. لكن لماذا عبر بلفظ الجر (عن) ولم يقل (يفتنوك في بعض ما أنزل الله إليك) أو (ليفتنونك في الذي أوحينا إليك)؟ لعل السبب في ذلك الإشارة إلى أن الاختبار وإن كان في الوحي وفيما أنزله الله تعالى إلى النبي ﷺ، إلا أن التعبير بحرف الجر (عن) -الذي يفيد المجاوزة- يشير إلى أن هذه الفتنة كان الغرض منها صد النبي ﷺ وصرفه عن التمسك بدينه والكتاب الذي أنزله الله تعالى إليه.

ثالثا: الفعل (تفتنون)

ورد هذا الفعل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النمل: ٤٧].

وهذا الحوار بين صالح عليه السلام وقومه، فقد تشاءموا بصالح عليه السلام والمؤمنين، فقال

(١) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٤١٥. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٢، ص٣٢٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٢١٢. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٣٦.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٦١٨. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٥٠٤.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٢٠١.

لهم صالح: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾، فما دلالة الفعل (تفتنون)؟

أ- قيل معناه تختبرون، أي يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم أتطيعونه أم تعصونه[١].

ب- وقيل معناه: تعذبون بذنوبكم[٢].

ج- وقيل معناه تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال، رجحه ابن كثير[٣].

د- وقيل: تختبرون بالخير والشر.

هـ - وقيل: يفتنكم غيركم.

و- وقيل: يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما لأجله تتطيرون[٤].

ز- وقيل: تفتنون بشهواتكم، قال ابن عطية: « وهذا معنى قد تعورف استعمال لفظ الفتنة فيه، ومنه قولك: فتن فلان بفلان، وشاهد ذلك كثير» [٥].

ولمعرفة معنى الفعل (تفتنون) في هذه الآية لا بد أن نفسره في سياق الحديث عن الطيرة، لأنه جاء ضمن رد صالح عليه السلام على قول الكفار: ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ ﴾، وبناء على ذلك فالذي أرجحه في معنى الفتنة هنا هو الاضطراب والمرج وتشتت الفكر، وهذا حال المتشائمين والمتطيرين، المعتقدين بصحة تأثير هذه الأشياء على حياتهم، فهم قلقون مضطربون، أما من آمن بالله عز وجل وبالقضاء والقدر فهو يعيش مطمئناً هانئ البال.

□

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٩، ص١٠٧.
(٢) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٢١٣.
(٣) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن، ج٦، ص١٧٨.
(٤) ينظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص١٤٢.
(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص٢٦١.

رابعا: الفعل (يُفتنون)

وقد ورد هذا الفعل في ثلاثة مواضع:

١- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن المنافقين، وفسر بعض المفسرين الفتنة هنا بالاختبار والابتلاء بالقحط، أو الغزو والجهاد أو بما يشيعه المشركون من الأكاذيب على النبي ﷺ وأصحابه[١]. وفسر ابن عطية الفتنة هنا بالاختبار بكشف أسرارهم، فقال: « أفلا يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين بحسب واحد، ويعلمون أن ذلك من عند الله فيتوبون» [٢]. وفسر ابن عاشور الفتنة هنا باختلال نظام الحالة المعتادة للناس واضطراب أمرهم، مثل الأمراض المنتشرة، والتقاتل، واستمرار الخوف[٣]. والمعنيان متلازمان، فالابتلاء والاختبار بهذه الأمور يصاحبه اختلال النظام واضطراب الأمور.

٢- قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢].

فسر بعض المفسرين الفتنة هنا بالهجرة، أو الابتلاء بالأنفس والأموال وشدائد التكاليف[٤]. وفسرها ابن عاشور بأنها فساد حال الناس بالعدوان والأذى في الأنفس والأموال والأهلين[٥]. والمعنيان متلازمان في هذه الآية، الابتلاء وفساد الأحوال.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١١، ص٥٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٢٩٩.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٩٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص٦٧.

(٤) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٧ن ص١٤٠. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٤١.

(٥) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٢٠٣.

٣- قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الذاريات: ١٠-١٣].

هذه الآية تبين جزاء الخراصين في الآخرة، فهم على النار يفتنون، وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في معنى (يفتنون)، وهي:

أ- يعذبون بالإحراق بالنار، وهو ما رجحه الطبري(١).

ب- وذهب الرازي إلى أن معناه العرض على النار، فقال: « والأولى أن يقال معناه يعرضون على النار عرض المجرب الذهب على النار كلمة على تناسب ذلك، ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار أليق لأن الفتنة هي التجربة» (٢).

ج- وقيل معناه: يكذبون(٣).

لعل الراجح في معنى ﴿ يُفْتَنُونَ ﴾ هو يحرقون، وهو مأخوذ من إحراق الذهب والفضة، لكن التعبير بقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ من باب الاستعارة، فاستعار هذا الوصف من عرض المجرب الذهب على النار، للتعبير عن إحراق الكافرين في النار دلالة على شدة الحرق، لأن الذهب لا يذاب إلا بحرارة شديدة، قال ابن عاشور: « وشاع إطلاقه على معان منها إذابة الذهب على النار في البُوتَقة لاختبار ما فيه من معدن غيرِ ذهب، ولا يذاب إلا بحرارة نار شديدة فهو هنا كناية عن الإحراق الشديد»(٤).

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ٢٦، ص١١٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٢٢. والآلوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص٢١.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨، ص١٦٦.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ٢٦، ص١١٩.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦، ص٣٤٥.

المبحث الثالث

دلالات الصيغ الاسمية لمادة (فتن) في السياق القرآني

المطلب الأول: صيغة (الفتون)

لم ترد هذه الصيغة إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]. وقد اختلف المفسرون في هذه الصيغة على قولين:

أ- الفتون جمع فتن، أو فتنة، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، أي فتناك ضروباً من الفتن.

ب- الفتون مصدر، وهو يفيد التأكيد(١).

والأولى أن يحمل هذا اللفظ على المصدر لما فيه من تأكيد للمعنى، أي اختبرناك اختباراً(٢)، وذلك بخلاف القول الأول، لأنه يدل فقط كثرة الابتلاءات التي تعرض لها موسى عليه السلام. ولكن ما السبب في هذه الاختبارات التي تعرض لها موسى عليه السلام؟ لعل السبب في ذلك أن الله عز وجل أراد أن يعده للتعامل مع أصعب نموذجين من نماذج البشر، وهما:

أ- فرعون، الذي يمثل ذروة الطغيان، والتكبر والعلو والفساد.

ب- بنو إسرائيل، فعند تتبع تاريخ بني إسرائيل يتبين لنا أنهم قوم لا يتمكن من تحملهم والصبر على أخلاقهم وسلوكهم إلا من وفقه الله لذلك وأعده إعداداً لهذه المهمة، فهم متقلبون، ومتزعزعون في إيمانهم، وقحون في تعاملهم مع الأنبياء، كثيرو السؤال في غير محله، قوم خصمون، مجادلون، يتحايلون على الشرع، ولا يلتزمون به.

□

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢، ٥٣. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٢.

(٢) على المعنى الراجح في معنى (فتناك)، ينظر البحث.

المطلب الثاني: اسم الفاعل (فاتنين)

وردت هذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣].

اختلف المفسرون في دلالة كلمة (فاتنين) في الآية، وذلك بسبب ورود حرف الجر (على)، واختلفوا كذلك في معنى (ما)، ومرجع الضمير في (عليه)، وفيما يلي بيان ذلك:

١- اختلف في معنى (ما)، فقيل: هي موصولة بمعنى الذي، أي: (فإنكم والذي تعبدون)، وقيل: مصدرية، والمعنى (فإنكم وعبادتكم)[١].

٢- واختلف في مرجع الضمير في (عليه) على ثلاثة أقوال:

أ- يعود على الله ﷻ[٢].

ب- يعود على (ما) على حذف المضاف، أي: على عبادة ما تعبدون[٣].

ج- وقيل (على) بمعنى الباء والضمير يعود على ما، أي: ما أنتم بذلك الذي عبدتموه بفاتنين[٤].

ثم اختلفوا في دلالة التركيب على ثلاثة أقوال:

١- تضمين (فاتنين) معنى مفسدين عند من قال بعود الضمير على لفظ الجلالة، قال أبو السعود: « يقال فتن فلان على فلان امرأته، أي أفسدها عليه، والمعنى: فإنكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بإفساد عباده

(١) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٣٥.

(٢) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص٤٨. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٥، ص٢٩. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٢٠٦.

(٣) ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص ٦٥١.

(٤) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص٤٨٨.

وإضلالهم» [١]، ويرى ابن عاشور أن (على) في هذه الحال للاستعلاء المجازي؛ لأن تضمين معنى مفسدين فيه معنى الغلبة[٢].

٢- تضمين (فاتنين) معنى حاملين بالفتنة[٣]، ويرى ابن عاشور أن (على) في هذه الحال بمعنى لام التعليل، كقوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويكون تقدير مضاف بين (على) ومجرورها تقديره: على عبادة ما تعبدون[٤].

٣- وذهب بعض المفسرين إلى أن (فاتنين) بمعنى مضلين، قال الطبري: « ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بمضلين أحداً إلا من سبق في علم الله أنه صال الجحيم» [٥].

المعنى الراجح في معنى (فاتنين) في الآية:

أصل الفتنة الابتلاء والاختبار، والكفار يبتلون الناس ويختبرونهم بالترغيب والترهيب بقصد إضلالهم وصدهم عن الدين، لذلك فالفتنة المنفية ليست بمعنى الابتلاء والاختبار، لأنه قد وقع منهم ذلك، لكن الآية تنفي نتيجة هذه الفتنة، فالكفار لا يملكون إضلال أحد من الناس إلا من يستجيب لهم ويتبعهم، فالفتنة هنا أطلقت على أثرها وهو الإضلال مجازاً.

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٢٠٦.
(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٧٠.
(٣) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٣٧٨.
(٤) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٧٠.
(٥) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٦٩. وينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص٤٨.

المطلب الثالث: صيغة (المفتون)

لم ترد هذه الصيغة إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ ﴾ [القلم: ٥-٧]

جاءت هذه الآيات في سياق الرد على المشركين الذين اتهموا النبي ﷺ بالجنون، وقد كان للمفسرين عدة أقوال في معنى ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ في الآية، أهمها ما يلي:

أ- المفتون بمعنى المجنون، والباء بمعنى (في)، أي في أي الفريقين المجنون، وذلك ما رجحه ابن عطية لكنه نبه إلى أنه لا يقول بتناوب الحروف، ولكن الباء من معانيها ذلك المعنى الذي يتوصل إليه بالحرف (في)[١]. أما القرطبي فيرى أن الباء زائدة، والمعنى فستبصر ويبصرون أيكم المفتون الذي فتن بالجنون[٢].

ب- المفتون بمعنى الفتون، كما يقال: ليس له معقول ولا معقود، أي: ليس له عقل ولا عقد رأي، فالمفتون بمعنى المصدر، أي بأيكم الجنون. وهذه القول رجحه الطبري[٣].

ج- في الكلام حذف، والتقدير: بأيكم فتنة المفتون، ذكره القرطبي[٤].

د- وقيل المفتون: المعذب[٥].

هـ- المفتون: الضال الذي افتتن عن الحق وضل عنه[٦].

و- المفتون: المضطرب في أمره المفتون في عقله حيرة وتقلقلاً، وهذا ما رجحه ابن عاشور بناءً على رأيه في معنى الفتنة، وهو المرج والاضطراب، وعلل رأيه قائلاً:

---

(١) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٣٤٦.

(٢) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٢٩.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢٩، ص١٩.

(٤) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٢٩.

(٥) ينظر المرجع نفسه.

(٦) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن، ج٨، ص٢٠٣.

« بإيثار هذا اللفظ [أي المضطرب] دون لفظ المجنون من الكلام الموجه أو التورية ليصح فرضه للجانبين، فإن لم يكن بعض المشركين بمنزلة المجانين الذين يندفعون إلى مقاومة النبي ﷺ دون تبصر، يكن في فتنة اضطراب أقواله وأفعاله كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهما » (١).

الرأي الراجح في معنى الكلمة: إن حمل صيغة (المفتون) على المصدر (الفتون) فيه صرف للفظ عن ظاهره، والذي دفع بعض المفسرين إلى ذلك تعدية الفعل بالباء (بأيكم)، فذهب بعضهم إلى القول بزيادتها، وذهب آخرون إلى أنها بمعنى (في)، والأولى أن تحمل الصيغة على معنى اسم المفعول، ويبقى بعد ذلك معنى الفتنة هنا، وسبب تعدية الفعل بالباء، قال ابن كثير: « وإنما دخلت الباء في قوله (بأيكم) لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴾ وتقديره: وستعلم ويعلمون، أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون » (٢)، وهذا هو الراجح من وجهة نظري لكن ليس من باب التضمين، فهو أحد معاني الفعل (بصر) كما في قوله تعالى على لسان السامري: ﴿ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [طه: ٩٦]، بل هو أول معنى ذكره ابن فارس لهذه المادة حيث قال: « الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العِلْمُ بالشَّيء » (٣).

أما معنى الفتنة هنا فالأولى حملها على معنى الضلال من باب إطلاق السبب على المسبب، وهذا القول أرجح –والله أعلم– مما ذهب إليه ابن عاشور حيث حمل الفتنة هنا على الاضطراب، وهو أرجح أيضاً من حمله على معنى الجنون، ويؤيد هذا المعنى ما جاء بعد هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ ﴾ [القلم: ٧]، فيكون معنى الآية: فستعلم ويعلمون بأيكم المفتون الضال.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٦٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن، ج٨، ص٢٠٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الباء، باب الباء والصاد وما يثلثهما.

المطلب الرابع: صيغة (الفتنة)

أولا: الفتنة ومعانيها في القرآن:

وردت كلمة (فتنة) في القرآن ثلاثين مرة، وقد قسمتها إلى عدة مجموعات، وهي:

١- الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار عموماً، وأغلب ما ورد من الفتنة بهذا المعنى وذلك في الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والمعنى إنما نحن ابتلاء واختبار فلا تتعلم السحر لتعمل به، بل لتحذر منه(١).

ب- قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ ﴾ [النساء: ٩١] أي كلما ردوا إلى الابتلاء والاختبار والمحنة في إظهار الكفر. (٢)

ج- قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

د- قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يونس: ٨٥]، وذلك بأن ينصر الله الكافرين على المؤمنين فيكون في ذلك فتنة واختبار

---

(١) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص١١٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣١١. وقد أطال المفسرون الكلام حول هذه الآية، وأبعد بعضهم في الآراء التي ذكرها لكن المجال لا يتسع لتتبع هذه الأقوال.

(٢) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣١١.

للفريقين، قال ابن عطية: « والمعنى لا تنزل بنا بلاء بأيديهم أو بغير ذلك مدة مجاورتنا لهم فيفتنون ويعتقدون إن إهلاكنا إنما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وأنهم أهل الحق، قاله مجاهد وغيره. قال القاضي أبو محمد: فهذا لدعاء على هذا التأويل يتضمن دفع فصلين، أحدهما القتل والبلاء الذي توقعه المؤمنون، والآخر ظهور الشرك باعتقاد أهله أنهم أهل الحق، وفي ذلك فساد الأرض » (١).

هـ – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠].

و– قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ز– قوله تعالى: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحج: ٥٣]، فما يلقيه الشيطان من شبهات اختبار وابتلاء للناس يضل بسببه الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم.

ح– قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٠] اختلاف مراتب الناس وأحوالهم اختبار وابتلاء من الله ﷻ، قال ابن عطية: « على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الشاكر فتنة للغني، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك العلماء وحكام العدل»(٢).

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص١٣٨.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص٢٠٥.

ط- قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٣]، وقد كانت هذه الشجرة فتنة للكفار حيث قالوا: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر، فأوقعت الشبهة في قلوبهم. وقيل المعنى أنها عذاب لهم في الآخرة(١). والأولى القول الأول حملاً للفظ على ظاهره والمعنى المتبادر منه.

ي- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القمر: ٢٧]

ك- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ٥]، وهو من جملة دعاء إبراهيم عليه السلام، وقد سبق بيان معنى هذا الدعاء في الآية التي سبق ذكرها من سورة يونس.

ل- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥]

م- قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [المدثر: ٣١]

٢- استعمال (الفتنة) بمعنى الضلال والفساد أو الإضلال والإفساد، من باب إطلاق السبب على المسبب، وذلك في الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾ [آل عمران: ٧] فهؤلاء يتبعون الآيات المتشابهات بغرض إيقاع الفتن وإضلال الناس.

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٤١. والنسفي، مدارك التنزيل، ج٤، ص٣٥. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٢٣، ص٧٩.

ب- قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة: ٤٧] أي يريدون الإفساد والتحريض.

ج- قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة: ٤٨] أي ابتغوا الإفساد.

د- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة: ٤٩]، والمعنى: ألا في الضلال والإثم سقطوا، وهم يدعون أنهم يخشون الوقوع في الفتن والضلال.

هـ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٤]، وسئلوا الفتنة أي سئلوا الضلال: بالشرك أو القتال في العصبية، أو الكيد للمسلمين وإلقاء التخاذل في جيش المسلمين، على اختلاف أقوال المفسرين(١).

٣- تخصيص الفتنة بالابتلاء بالشر، وذلك في الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المائدة: ٧١]، والمراد بالفتنة هنا الابتلاء بالشدائد، وما ينالهم من شر في الدنيا والآخرة(٢).

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢١، ص٨٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٤٩.

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٦، ص٢٠١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٢٤٧. وابن كثير، تفسير القرآن، ج٣، ص١٤١. أبو حيان البحر المحيط، ج٣، ص٥٣٣.

ب- قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، واستدل ابن عاشور بهذه الآية على أن الفتنة قد تكون عقاباً من الله تعالى، حيث قال: « وبهذا تعلم أن الفتنة قد تكون عقاباً من الله تعالى في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم، فإن من سُنتها أن لا تخص المجرمين إذا كان الغالب على الناس هو الفساد» (١).

ج- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، وموالاة الكافرين بعضهم بعضاً، ومخالفة هذا الأمر سبب في وقوع الفتن والشدائد. وقد حمل بعض المفسرين الموالاة في هذه الآية على الميراث(٢)، والصحيح حمل اللفظ على عمومه، والولاء هنا النصرة والتعاون، وهذا ما رجحه الطبري(٣)، وموالاة المسلمين للكفار توقع المسلمين في بلاء وشدة، ويؤدي إلى تفرقة صف المسلمين، وإضعاف كلمتهم.

د- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١]، والفتنة هنا الابتلاء بالشدة، والدليل أنها عطفت على الخير.

هـ- قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٣١٧.

(٢) ينظر تفسير الجلالين، ص٢٤٦.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٣٩.

﴿ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]، والفتنة هنا بمعنى البلاء والمحنة(١).

و- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وفتنة الناس هو ما يوقعونه عليهم من أذى، فهي الابتلاء بالشدائد.

٤- تخصيص الفتنة بالابتلاء بالخير، وذلك في موضعين:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١١]، والضمير في (لعله) يعود على الإمهال وتأخير العذاب(٢)، وهذا ابتلاء بالخير، فقد ابتلاهم الله ﷻ بما هم فيه من عافية وما عندهم من مال وخير، وأخر عنهم العذاب فتنة لهم.

ب- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الزمر: ٤٩]، فالفتنة هنا الابتلاء بهذه النعمة التي من الله ﷻ بها على الإنسان.

٥- آيات اشتهر عند المفسرين تفسير الفتنة فيها بالشرك، والصواب غير ذلك، وهي أربع آيات:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقد كان للمفسرين أقوال عدة في معنى الفتنة هنا:

- قيل: الفتنة هي الشرك(٣).

---

(١) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٧٨. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٤، ص٢٠٣. والآلوسي، روح المعاني، ج١٨، ص٨٣٢.

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٨٤. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٨٤.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١١١. ابن كثير، تفسير القرآن، ج١، ص٣٨٦.

– وقيل: عذاب الآخرة [١].

– وقيل: العذاب الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل والإخراج من الوطن [٢].

– وقيل: فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم[٣].

والراجح من وجعة نظري حمل الفتنة على المعنى الظاهر المتبادر، وهو الابتلاء والاختبار، والكفار يبتلون المؤمنين ويمتحنونهم ليصدوهم عن دينهم، ويمنعوا غيرهم من الإيمان.

ب– قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ [البقرة: ١٩٣]

أغلب المفسرين على تفسير الفتنة هنا بالشرك، وذكروا في ذلك روايات عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغيرهم[٤].

ونقل أبو حيان عن أبي مسلم تفسير الفتنة هنا بالقتال في الحرم[٥].

والأولى حمل اللفظ على معناه الظاهر والفتنة هنا الفتنة في الدين، وابتلاؤهم لصدهم عن دينهم، وقد يكون الشرك في بعض الأحيان سبباً في هذه الفتن.

ولعل الذي أوقع هذا الإشكال ورود الروايات عن السلف في تفسير الفتنة بالشرك،

---

(١) ينظر ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج٣، ص٣٤٣.

(٢) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٦٦. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٢٠٣.

(٣) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٦٦.

(٤) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١١٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٣٥٣. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٢٠٣. والزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٤١. والرازي، مفاتيح الغيب، ج٥، ص٢٩١. والآلوسي، روح المعاني، ج٢، ص٦٧.

(٥) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٦٨.

ويزول هذا الإشكال إذا أخذنا بعين الاعتبار منهج الصحابة في التفسير، قال ابن تيمية مبيناً منهج الصحابة في التفسير: « أن يذكر كل واحد منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه» (١)، وقال أيضاً: « فكل قول فيه ذكر نوع دخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له، وتنبيهه به على نظيره فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق» (٢).

وبناءً على ذلك يمكنني القول إن ما ورد عن بعض السلف من تفسير الفتنة بالشرك، إنما هو من باب تفسير الشيء بسببه، وقد كان شرك مشركي قريش في ذلك الوقت هو السبب الرئيس وراء الفتن التي تعرض لها المسلمون.

وقد روي عن ابن عمر تفسير الفتنة بالمعنى الذي ذكرته، وهو مروي في صحيح البخاري، فعن نافع: أنَّ رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرَّحمن ما حملك على أنْ تحُجَّ عاماً وتَعْتَمِرَ عاماً، وتترُكَ الجهادَ في سبيل اللهِ ﷻ قد علِمْتَ ما رَغَّبَ اللهُ فيه؟ قال: يا ابنَ أخِي، بُني الإسْلاَمُ على خمْسٍ: إيمانٍ باللهِ ورسُولهِ، والصلاة الخمْسِ، وصيام رمضان، وأدَاءِ الزَّكاةِ، وحجِّ البيتِ. قال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمَعُ ما ذكرَ اللهُ في كِتَابِهِ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قالَ: فعلْنا على عهدِ رَسُولِ الله ﷺ وَكانَ الإسلامُ قَلِيلاً، فكانَ الرَّجلُ يُفْتَنُ في دِينهِ: إمَّا قَتَلُوه وإمَّا يُعَذِّبُونَهُ، حتَّى كَثُرَ الإسْلاَمُ فَلَم تَكُنْ فِتنةٌ، قال: فما قَوْلك في عليٍّ وعثمان؟ قال: أمَّا عثمان فكأَنَّ اللهَ عفا عنهُ، وأَمَّا أَنتُمْ فكرِهْتُم

(١) ابن تيمية، أصول التفسير، ص٤٣.

(٢) ابن تيمية، أصول التفسير، ص٤٤.

أَنْ تَعْفُوا عنهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فابنُ عمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَختَنَهُ، وَأَشارِ بيدِهِ، فقالَ: هذا بيتُهُ حيثُ تَرَوْنَ»(١).

ج- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فسَّر عدد من المفسرين الفتنة هنا بالشرك(٢)، ونسبه الرازي إلى أكثر المفسرين وضعفه، لأن حمل الفتنة على الكفر يجعل في الكلام تكراراً حيث سبق ذكر الكفر في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢١٧].(٣)

وذهب بعض المفسرين إلى أن الفتنة هنا الفتنة عن الدين، أي ابتلاء المسلمين وامتحانهم لصدهم عن الدين تارة بالتعذيب، وتارة بإلقاء الشبهات. ونسب القرطبي هذا القول للجمهور(٤)، وهو الأولى.

د- قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والفتنة هنا الابتلاء في الدين وصد الناس عن دينهم، كما سبق وأن بينت في آية سورة البقرة.

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ج٤، ص١٦٤١، حديث ٤٣٩٩.

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٢، ص٢٠١. والسمرقندي، بحر العلوم، ج١، ص١٤٣.

(٣) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٦، ص٣٨٦.

(٤) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣ن ص٤٠. وابن كثير، تفسير القرآن، ج١، ص٤٢٨. والرازي، مفاتيح الغيب، ج٦، ص٣٨٦. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٣٣٠.

ثانيا: دلالة الفتنة في حال الإضافة إلى الضمائر

وردت كلمة (الفتنة) مضافة إلى ضمائر في أربعة مواضع، وهي:

١- (فتنته) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [المائدة: ٤١].

وللمفسرين عدة أقوال في معنى الفتنة هنا:

أ- الضلالة، ويكون من باب إطلاق السبب على المسبب، قال الرازي: « واعلم أن لفظ الفتنة محتمل لجميع أنواع المفاسد، إلا أن لما كان اللفظ مذكوراً عقيب أنواع كفرهم التي شرحها الله تعالى وجب أن يكون المراد من هذه الفتنة تلك الكفريات التي تقدم ذكرها» (١).

ب- وقيل الفتنة هي الضلالة في الدنيا والعقوبة في الآخرة(٢).

ج- وقيل الفتنة العذاب بالنار(٣).

د- الفتنة الفضيحة، أو اختباره بما يظهر به أمره(٤).

هـ- الفتنة الإهلاك(١).

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٦، ص١٤٩. وينظر الطبري، جامع البيان، ج٦، ص١٤٩. والنسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٤١١.

(٢) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص١٧٦.

(٣) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٤٨٥.

(٤) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٣٦. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٢، ص٣٢٤.

والراجح من وجهة نظري القول الأول، وعذاب الآخرة وإن كان محتملاً إلا أن السياق في الحديث عن الدنيا، ونهي النبي ﷺ عن أن يحزنه كفرهم وضلالهم في الدنيا، أما الفضيحة فلا تتناسب مع السياق، وكذلك الإهلاك.

٢- (فتنتهم) في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٣].

وذكر المفسرون معان عدة للفتنة في هذه الآية، وهي:

أ- الفتنة الاختبار، والمعنى لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال[٢]. فيكون من باب إطلاق السبب على المسبب، وهو ما رجحه الطبري[٣].

ب- ويرى ابن عاشور أن الفتنة اضطراب الرأي، وأن في الكلام حذفاً، والمعنى فافتتنوا في ماذا يجيبون فكان جوابهم أن قالوا، فيكون الجواب أثر فتنتهم ومظهرها[٤]. وجوز ابن عاشور أن يكون المعنى الاختبار على حذف المضاف، أي لم يكن جواب فتنتهم، أي جواب السؤال والاختبار الذي اختبروا به[٥].

ج- وقال آخرون: فتنتهم معذرتهم[٦]، قال الآلوسي: « واستعملت فيه[٧] لأنها،

---

(١) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٤٨٥

(٢) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤٠١.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٧، ص١٠٥. وينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٨٤.

(٤) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص١٧٦. وجوز أن يكون المراد الجواب الكاذب، أو المعنى الأصلي وهو الاختبار والمراد السؤال.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) ينظر الطبري، جامع البيان، ج٧، ص١٠٥.

(٧) أي استعمال الفتنة في المعذرة.

على ما تقدم، التخليص من الغش، والعذر يخلص من الذنب، فاستعيرت له » [١].

د- وقال آخرون: لم تكن بليتهم حين ابتلوا[٢].

هـ - وقال آخرون: لم يكن كفرهم، والمراد عاقبته[٣].

و- وقال بعضهم: افتتانهم بالأوثان، قال ابن عطية: « أي لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار بها » [٤].

وأقرب هذه الأقوال هو القول الأول فتكون الفتنة من باب إطلاق السبب على المسبب، أو أن يكون من باب حذف المضاف كما ذكر ابن عاشور، أي لم يكن جواب فتنتهم، وذلك لأن حمل اللفظ على المعنى الظاهر أولى، وأصل الفتنة الاختبار والابتلاء، أما ما ذكره ابن عاشور من اضطراب الرأي فهو من لوازم هذه الفتنة وهذا الاختبار.

٣- (فتنتك) في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، والفتنة هنا الابتلاء والاختبار بلا خلاف، ولم ترد الفتنة مضافة إلى لفظ الجلالة أو الضمير العائد إليه إلا في هذا الموضع، قال القرطبي: «وأضاف الفتنة إلى الله ﷻ ولم يضفها إلى نفسه؛ كما قال إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾

(١) الآلوسي، روح المعاني، ج٧، ص٤٢١.

(٢) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن، ج٣، ص٢٢٠.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١١. والنسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص١٢. وأبو السعود، السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص١١٨.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٢٧٧.

[الشعراء: ٨٠]، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى...وإنما استفاد ذلك موسى عليه السلام من قوله تعالى له: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه: ٨٥] » [(١)].

٤- (فتنتكم) في قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الذاريات:١٠-١٤]، ذكرت فيما سبق أن الفعل (يفتنون) هو بمعنى يحرقون مأخوذ من أصل معنى الفتنة، وهو إحراق الذهب والفضة، وكذلك معنى (فتنتكم)، أي حريقكم وعذابكم[(٢)]. وفي إضافة الفتنة غلى ضمير المخاطبين دلالة على الاختصاص، قال ابن عاشور: « وإضافة فتنة إلى ضمير المخاطبين يومئذ من إضافة المصدر إلى مفعوله. وفي الإضافة دلالة على اختصاصها لهم لأنهم استحقوها بكفرهم » [(٣)].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٢٩٣.

(٢) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٢٢. وابن كثير، تفسير القرآن، ج٧، ص٣٨٦. والآلوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص٢١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦، ص٣٤٥.

الخـاتمة

بعد هذه الدراسة المفصلة لمصطلح (الفتنة) ومشتقاته في القرآن الكريم، أخلص إلى النتائج التالية:

١- أصل الفتنة مأخوذ من إحراق الذهب والفضة لتمييز الرديء من الجيد، وهو وضع يصاحبه مرج واضطراب.

٢- واستعمل لفظ (فتن) في الإدخال في النار، أي الإحراق.

٣- واستعمل أيضاً في الابتلاء والاختبار.

٤- واستعمل أيضاً للدلالة على اضطراب الحال، وتشتت الفكر.

٥- كثيراً ما يتلازم معنى الابتلاء ومعنى الاضطراب، وأحياناً يراد أحدهما.

٦- قد تستخدم مادة (فتن) ومشتقاتها للدلالة على لوازم المعنى الأصلي أو مسبباته، وهذا من الاستعمال المجازي للفظ.

٧- وردت مادة (فتن) في القرآن (٦٠) مرة، في (٥٧) آية.

٨- الصيغ الفعلية وردت (٢٣) مرة.

٩- الصيغ الاسمية وردت (٣٧) مرة.

١٠- وردت مادة (فتن) في السور المكية (٣٧) مرة في (٢٢) سورة، ووردت هذه المادة في السور المدنية (٢٣) مرة في (١٠) سور، وهذا يدل على أن عهد الاستضعاف تكثر فيه الفتن، ومع ذلك فإن عهد التمكين لا يخلو من فتن واختبارات يتعرض لها المسلمون.

١١- استعملت مادة (فتن) ومشتقاتها في القرآن الكريم بالمعاني التالية:

أ- الاختبار والابتلاء.

ب- الإحراق، أو التعذيب.

ج- اضطراب الحال وعدم الاستقرار.

د- الضلال والإضلال، أو الفساد والإفساد من باب إطلاق السبب على المسبب.

فهذه أربعة معان استعمل القرآن الكريم لفظ الفتنة للدلالة عليها، وهذا خلافاً لما قرره د. قاسم فاهم خضير في بحثه (دلالة ألفاظ الفتنة في القرآن الكريم) حيث أوصل معاني لفظ (الفتنة) في القرآن الكريم إلى عشرة معان.

١٢- يطلق مصطلح (الفتنة) في القرآن ويراد به غالباً الابتلاء بشكل عام، ويختص أحياناً بالابتلاء بالخير، أو بالشر.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

١- الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢- أحمد، بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، ١٩٧٥م.

٦- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر.

٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، أصول التفسير، ط٢، ١٩٧٢م.

٨- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٩- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت.

١٠- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مواقف الأنبياء في القرآن، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠١٠م.

١١- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات، دار القلم، دمشق.

١٣- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٤- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الفكر، بيروت.

١٦- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٧- السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، دار الفكر، بيروت.

١٨- السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.
٢٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٢٢- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م. وطبعة دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٢٣- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٤- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.
عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٥- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
٢٦- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت.
٢٧- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.
٣٠- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل، دار النفائس، ١٩٩٦م.
٣١- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
٣٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

فهرس المحتويات

المقدمة ٨٤٨
المبحث الأول: معنى (فتن) في اللغة ٨٥٠
المطلب الأول: معنى (فتن) عند ابن فارس ٨٥٠
المطلب الثاني: معنى (فتن) عند الراغب الأصفهاني ٨٥١
المطلب الثالث: معنى (فتن) عند ابن منظور ٨٥٤
المطلب الرابع: معنى (فتن) عند السمين الحلبي ٨٥٦
المطلب الخامس: معنى (فتن) عند أبي البقاء الكفوي ٨٥٧
المطلب السادس: معنى (فتن) عند الزبيدي ٨٥٨
المطلب السابع: معنى (فتن) عند ابن عاشور ٨٦٠
المطلب الثامن: خلاصة معنى (فتن) في اللغة ٨٦١
المطلب التاسع: الصيغ الصرفية لمادة (فتن) في القرآن الكريم ٨٦٢
المبحث الثاني: دلالات الصيغ الفعلية لمادة (فتن) في السياق القرآني ٨٦٤
المطلب الأول: الفعل الماضي (فتن) ٨٦٤
المطلب الثاني: الفعل المضارع من (فتن) ٨٧٧
المطلب الثالث: الفعل المضارع (يفتنهم) ٨٣٨
المبحث الثالث: دلالات الصيغ الاسمية لمادة (فتن) في السياق القرآني ٨٩٠
المطلب الأول: صيغة (الفتون) ٨٩٠
المطلب الثاني: اسم الفاعل (فاتنين) ٨٩١
المطلب الثالث: صيغة (المفتون) ٨٩٣
المطلب الرابع: صيغة (الفتنة) ٨٩٥
الخاتمة ٩٠٨
المصادر والمراجع ٩١٠
فهرس المحتويات ٩١٢